

الفكاهة في شعر شوقي

قد يبدو هذا العنوان تقليدياً ، ولكن التناول التالي ليس تقليدياً بالتأكيد لسببين على الأقل :

أولهما : أن الدراسات التي تناولت شعر شوقي - على تعددها - لم تقف كثيراً عند الفكاهة في شعره ، ومرت بها مروراً سريعاً في سياق تعدادها لأغراض شعره لا أكثر.

ثانيهما : أن معظم الدراسات التي تناولت شعر شوقي كانت تقتصر على ديوان الشوقيات بأجزائه ، ولم تكن تتعدى ذلك لدراسة شعره المسرحي ، تاركة ذلك لتلك الدراسات المتخصصة التي اقتصرت على دراسة مسرحياته وهذه بدورها لم تتوقف كثيراً عند الأبيات الفكاهية إلا بقدر ضئيل لأن جل اهتمامها كان ينصب على الدراسة الفنية للعمل المسرحي أو لفنه أو لشخصيته - الخ .

من هذا المدخل سوف نقف بالقاريء عند جانبيين من جوانب الفكاهة في شعر شوقي وهما :

محجوبيات أحمد شوقي :

المحجوبيات هي تلك القصائد التي قالها شوقي في صديقه الدكتور محجوب ثابت وهو طبيب ونقابي وسياسي معروف كانت له لوازم صوتية وحركية مضحكة أو هكذا شاء له أصدقاؤه كشوقي وحافظ .

وقد كان الدكتور محبوب ثابت من أشهر الأطباء في عصر شوقي ، وكان ميالاً إلى تشجيع النشاط العمالي من خلال التجمعات العمالية التي تحولت إلى نقابات فيما بعد . وكانت شخصيته مثيرة للشعراء بسبب عاداته الغريبة التي يتمسك بها ومنها تدخينه الغليون (البيب) واستعماله حصاناً في التنقل في ميادين القاهرة وشوارعها يركض به بين السيارات المارقة . وقد أطلق أصدقاؤه على هذا الحصان اسم " مكسويني " وهو اسم بطل ايرلندي مشهور انتحرجوعاً وفي هذه التسمية غمز للدكتور محبوب ثابت بأنه كان يُجيع حصانه وقد استبدل به صاحبه فيما بعد سيارة نالت هي أيضاً نصيباً وافراً من سخريه شوقي . كما كان من لوازم محبوب ثابت ذلك الكم الوافر من القافات التي تتخلل عباراته ، وسط شارب كثيف من الشعر ، ولحية لا تقل عنه كثافة .

وقد كتب شوقي في " مكسويني " حسان الدكور محبوب ثابت قصيدة جعل هذا الاسم "مكسويني " عنواناً لها قال فيها :

تُفدِّيك - يا مكسُ - الجيادُ الصلادم وتفدي الأساءة النطسُ من أنتَ خادمُ
 كأنك - إن حاربتَ - فوقكَ عنترُ وتحتَ ابنِ سينا أنتَ حينَ تسالمُ
 ستُجزى التماثيلَ التي ليس مثلها إذا جاءَ يومٌ فيه تُجزى البهائمُ
 فإنك شمسُ ، والجياد كواكبُ وإنك دينارُ ، وهن الدراهمُ

[الأساءة النطس : الأطباء المهرة ، جمع أس : طبيب ، ونطاسي : ماهر في

[الطب]

فهو يتخيل محجوبا فارسا يصول ويجول بحصانه كأنه عنتره بن شداد أما إذا ركبه وسار به إلى العيادة أو المستشفى فهو يتخايل في مشيته كأنه (ابن سينا) أشهر أطباء العرب .

ويتصور شوقي الحصان " مكسي " وقد أقيمت له تماثيل مختلفة تمثل وقفته حين يكون صاحبه جالسا في الأماكن التي يرتادها عادة وهي مقهى (البرلمان) ومقهى (بار اللواء) ومقهى (الأهرام) ، وكان محجوب ثابت إذا ارتاد أحد هذه الأماكن اتخذ مكانه بين رفاقه ، وأوقف حصانه على مقربة منهم فأصبح ذلك من علامات وجوده في تلك الأماكن :

مثالٍ بساحِ البرلمانِ مُنْصَبٌ وأخرُ في (بار اللّوا) لك قائمٌ
ولا تظفرُ (الأهرامُ) إلا بثالِثِ " مزاميرُ " داود عليه نواغمُ
وكم تدّعي السُّودانَ يا مكس هازلاً وما أنت مُسودٌ ، ولا أنت قائمٌ
وما بك مما تُبصرُ - العينُ شُبهُةٌ ولكن مشيبٌ عَجَلْتُهُ العِظائِمُ
كأنك خيلُ التركِ شابتَ مُتونها وشابت نواصيها ، وشاب القوائِمُ
فياربَّ أيامٍ شهدتَ عصييةً وقائِعُها مشهورةٌ والملاحِمُ

ومرة أخرى يتوجه شوقي بالخطاب إلى الحصان (مكسويني) في قصيدته التي سخر فيها من سيارة محجوب ثابت والتي جعل عنوانها (بين مكسويني والأوتومبيل) فقد قال فيها يخاطب الحصان وقد استخدم في ندائه إياه ما يسمى

عند اللغويين بـ " الترخيم " وهو إسقاط بعض حروف الاسم تدليلاً أو تعظيماً
أو تقريباً من المخاطب . فقال شوقي :

أذُنِيَا الْخَيْلِ (يَا مَكِّيُّـ) كَدُنِيَا النَّاسِ غُدَّارَةٌ؟!
لَقَدْ بَدَّلَكَ الْوَدَّ مِنْ الْإِقْبَالِ إِدْبَارَهُ
فَصَبْرًا يَا فَتِي الْخَيْلِ فَنَفْسُ الْحَرِّ صَبَّارَهُ
أَحَقُّ أَنْ (مَحْجُوبًا) سَلَا عَنْكَ بِفَحَّارَهُ؟
وَبَاعَ الْأَبْلَقَ الْحَرَّ بِـ (أَوْفْرَانًا) نَعَّارَهُ؟

و"الأوفرلاند" هي ماركة السيارة التي اقتناها محبوب ثابت وقد وصفها
شوقي بانها نَعَّارَةٌ أي ذات صوت مزعج ، ثم انتقل في قصيدته إلى لوم صديقه الذي
تنكر لحصانه فتخلى عنه متناسياً ماضيه في الجهاد مع صاحبه ، وهو جهاد ليس
له أساس في الواقع ، بل هو من خيال شوقي الذي تصور مروق الحصان وسط
الصبية ، الذين كانوا يتصايحون إذا رأوه ، جهاداً وحرباً ضروساً فيها رايات
وغارات وكروفر ، ورشاشات وبنادق [الغدارة : اسم قديم للبندقية] ومع ذلك فإن
نحبوا لم يحفظ للحصان هذا التاريخ وذلك البلاء فشَلَّحَهُ (طرده) أي فرط فيه
تفريط الكاره المبعُض غير الندم على الفراق ، مع أنه لم يكن يكلفه تغذية فقد عاش
معه جائعاً محروماً من البرسيم الذي لم يره ولم يرزهوره ونواره في حياته مع
محبوب :

ولم يعرف له الفضلَ ولا قَدَّرَ آثاره
 قد اختار لك الشَّلْحَ وما كنت لتختاره
 كأن لم تحمل الرا ية يوم الروع والشارة
 ولم تركب إلى الهول ولم تحمل على الغارة
 ولم تعطف على جرحى من الصبية نظَّارة
 فمضروب برشَّاش ومقلوب بغدَّاره
 ولا والله ما كلفَ ست محبوبا ولا باره
 فسله : ما هو الشَّلْحُ ؟ عسى يُنبئك أخباره
 فلا البرسيم تدرييه ولا تعرف نـوَّاره !!!

وأما سخرية شوقي بصاحبه محجوب - بعيداً عن الحصان - فقد أخذت

أربعة مسارات :

الأول : التعلّم من سيارته :

فقد جعل منها شوقي أضحوكة يتندر بها الجيران فهي ضعيفة لا تقوى على السير با تنهار من جانبيها إذا أراد تحريكها . وهي عجيبة الطبع تقف إذا شاءت وتمشي إذا شاءت من تلقاء نفسها وهي مثار سخرية الصبية في الشوارع يتصايحون إذا رأوها مثلما يتصايحون عندما تمر فوقهم طائرة يقول شوقي :

لکم في الخط سياره حديث الجار والجاره

(أوفرلانند) يُبَيِّك
كسيارة (شارلبوت)
غذا حركها مالت
وقد تحرن أحياناً
ولا تشبعها عين
ولا تُروى من الزيت
ترى الشارع في ذعر
وصياناً يضجُّون
وفي مقدمها بسوق
فقد تمشي — متى شئت
قضى — الله على السَّوَا
يُقضي — يومه فيها

بها القنصل (طماره)
على السواق جبارة
على الجنين مُنهارة
وتمشي — وحدها تارة
من البنزين فوارة
وإن عامت به الفارة
إذا لاحت من الحارة
كما يلقون طيارة
وفي المؤخر زُمارة
وقد ترجع مختارة
ق ، أن يجعله ساداره
ويلقى الليل ما زاره

الثاني : التعلّم منه بخله :

ويبدو تهكم شوقي من بخل صاحبه في قصيدته التي جعل عنوانها (نخيرة)
ويتحدث فيها شوقي عن (ألفين) من الجنيهات كان محجوب ثابت قد أودعها
مصرفاً يمتلكه حسن باشا سعيد وقد قيلت هذه القصيدة إبان ثورة ١٩١٩م وكان
محجوب ثابت من المشاركين فيها . ولم يكن لديه أية رغبة في المساس بهذا المبلغ

فغيره شوقي بهذا الحرص الشديد على كنهه الثمين ، يقول شوقي مخاطباً محجوب ثابت الذي كان يلقيه دائماً بابن سينا ، أو " الرئيس " وهو لقب ابن سينا الطبيب العربي الشهير ويعرّض شاعرنا بمبلغ ألفين من الجنيهات يبدو أنهما كانا وديعة أودعها الدكتور محجوب في أحد البنوك آنذاك :

قل لابن سينا : لا طيب	سب اليوم إلا الدرهم
هو قبل بقراط وقب	لك للجراحة مرهم
والناس مذ كانوا عليه	دائرون وحُوم
وبسحره تعلقوا الأسا	فل في العيون وتعظم
يا هل ترى الألفان وق	ف ، لا يمسُّ ومحرم ؟!
بنك " السعيد " عليهم ما	حتى القيامة قيّم
لا " شيك " يظهر في البنو	ك ولا " حوالة " تُخصم
وأعف من لا قيت يلق	سأه فلا يتكرم !

الثالث : التعلّم من البراغيت الملاجوية :

وفي قصيدته الشهيرة (براغيث محجوب) يتهمك شوقي على صديقه الذي تملأ البراغيت عيادته ، وتستقبل زائريه من على باب العمارة ، بل هي تستقبلهم من الطريق فترافقهم إلى باب العمارة في صفوف متراصة راقصة ، فإذا دخل الضيف أبصر هذه البراغيت في شارب الطبيب ولحيته وداخل غليونه الذي يدخنه ، بل وبين أسنانه تروح وتغدو باحثة عن بقايا طعام والقصيدة آية من آيات السخرية

والفكاهة العذبة ، وفي الأبيات يقول شوقي إنه - بفضل تلك البراغيث - استغنى عن عادة كانت تلازمه وهي الاحتجام بين الصيف والخريف نظرا لتغير الجو ، فترك تلك العادة لأن البراغيث كفته مؤونة الحجامه لكثرة ما امتصت من دمائه فيقول شوقي فيها :

براغيث محبوب لم أنسها	ولم أنس ما طعمت من دمي
تشق خراطيمها جوربي	وتنفذ في اللحم والأعظم
وكنت إذا الصيف راح احتجمت	فجاء الخريف فلم أحجم
ترحب بالضيف فوق الطريـ	ق ، فباب العيادة فالسلم

وهذه البراغيث تتراقص كما تتراقص الأمواس الحداد [جمع موسي] وهي تقد الجلد قدا ، وقد اعتادت هذه البراغيث أن تخرج من مكانها مبكرة في مطلع فصل الشتاء . وقد يكون من مكانها فم صديقه الطبيب فهو إذا تنخم وألقى بالبلغم خرجت هذه البراغيث من البلغم المقدوف :

قد انتشرت جوقه جوقه	كما رُشت الأرض بالسسم
وترقص رقص المواسي الحداد	على الجلد ، والعَلق الأسحم
بواكير تطلع قبل الشتاء	وترفع ألوية الموسم
إذا ما " ابن سينا " رمى بلغماً	رأيت البراغيث في البلغم
وتبصرها حول " بيبا " الرئيس	وفي شارييه وحول الفم
وبين حفائر أسنانه	مع السوس في طلب المطعم

الرباع : التهكم بحرف (القاف) عند محجوب ثابت :

وكان من لوازم محجوب ثابت الإكثار من استخدام حرف القاف في كلامه كما كان معروفاً بخطبه الطويلة التي كان يلقيها في جموع العمال وأكثرهم عنه غافلون . وحدث ذات مرة شقاق بين محجوب ثابت وسليمان فوزي صاحب مجلة الكشكول وأراد شوقي أن يصلح بينهما فرفض محجوب ثابت الصلح فقال شوقي على لسانه هذه القصيدة التي تفيض سخرية لتعمده الاستكثار من ذكر حرف (القاف) فيها :

يميناً بالطلاق وبالعتاق	وبالدنيا المعلقة المذاق
وكل فقارة من ظهر " مكسي- "	بصحراء الإمام وعظم ساق
وتربته وكل الخير فيها	ونسبته الشريفة للبراق
وبالخطب الطوال وما حوته	وإن لم يبق في الأذهان باق

وبعد أن أقسم محجوب ثابت بالطلاق والعتاق وفقرات ظهر حصانه " مكسويني " وقبر حصانه المدفون في مدافن صحراء الإمام الشافعي بالقاهرة ، يأتي جواب ذلك القسم استنكاراً للشتيمة التي نالته من صديقه سليمان فوزي ، وكيف يُشتم وهو ذو غليون وطباق وله رهط من العمال ينصرونه إذا حُمَّ الوغي :

وكسري الشعر إن أنشدت شعراً	ونطقي القاف واسعة النطاق
أيشتمني سليمان بن فوزي	و " بيبي " في يدي ومعني " طباقني "
وتحت يدي من العمال جمع	يشمر ذيله عند التلاقي

ولسنا في البيان إذا جرينا لأبعد غاية فرسي سباق
تقاقي ذقنه من غير يبيض ولي ذقن تبيض ولا تقاقي

[تقاقي : أي تكاكي وهو الصوت الذي يصدر عن الدجاج] وكأن الشاعر
تخيل لحية صاحبه دجاجة تصيح ولا تبيض على حين لحيته هو دجاجة تبيض ولا
تصيح ، وهو تصوير فكه ليس له دلالة إلا السخرية من صديقه الذي يخلق شاربه
ولحيته ، والكلام هنا - كما هو واضح - يجريه شوقي على لسان محبوب ثابت
وتحلاق اللحى ما كان رأيي ولا قص الشوارب من خلاقي
ألا طز على العيهور طز وأن أبدي مجاملة الرفاق
بقارعة الطرق ينال مني ويوسعني عناقاً في الزقاق
وليس من الغريب سواد حظي وبالسودان قد طال التصاقي
الم ير أنني اعرضت عنه وصار لغير طلعتة اشتياقي
وسبحان المفرق : حظ قوم قناطير وأقوام أواقبي
وعيش كالزواج على غرام وعيش مثل كارثة الطلاق

ويستخدم شوقي في الأبيات السابقة كلمتين من العامية المصرية شديديتي
السخرية ، وهما كلمة " طز " بمعنى : أن هذا الشيء أو ذلك الشخص لا يهمني أو هو
عديم الأهمية ، وكلمة "العيهور" وهي توحى بما توحيه كلمة المغفل أو الأحمق
والإشارة إلى السودان في الأبيات إشارة إلى مدوة طويلة كان الدكتور محبوب

ثابت قد قضاها بالسودان الذي كان في ذلك الوقت جزءاً من المملكة المصرية ويختتم الشاعر قصيدته على لسان محبوب ثابت بهذا البيت الهازل :

أمور يضحك السفهاء منها ويبيكي البلشفي والاشتراقي

[والاشتراقي هي الاشتراكي ولكن بلغة سيد القافات : محبوب ثابت !!!]

الفكاهة في المسرح الشعري عند شوقي

على الرغم من كثرة الدراسات التي قدمت عن أحمد شوقي وأدبه وشعره فإننا لا نجد دراسة واحدة من بين هذا الكم من الدراسات تخصصت في دراسة الفكاهة في شعره بصفة عامة ، فضلاً عن أن نجد دراسة تخصصت في الفكاهة في مسرحه الشعري ، ذلك الفن العظيم الذي يدين بوجوده كجنس أدبي استمر في أدبنا العربي المعاصر لمؤسسه أحمد شوقي ، وفي السطور التالية سوف نتلمس بعض مواقف الفكاهة في مسرحيتين فقط من مسرحياته الشعرية :

الفكاهة في مسرحية " البخيلة " :

تتلخص هذه المسرحية في أن امرأة عجوزاً اسمها نظيفة - لاحظ دلالة الاسم - كانت تعيش مع خادماتها (حُسنى) وحفيدها (جمال في بيت قديم ويعانيان معها اشد المعاناة مما هي عليه من تقثير وإمساك . ويحاول سمسار اسمه (رشاد) التغرير بجمال ليزوجه فتاة من أحد البيوتات التي أخنى عليها الزمن فيوافق جمال ، متجاهلاً الحب الصامت الذي تكنه له الخادمة (حُسنى) وعندما تموت السيدة البخيلة يتسامح الجيران بنبأ خطير مؤداه أن السيدة العجوز أوصت

بكل ثروتها لخادمتها ، فيفاجأ جمال بأن خطيبته تفسخ خطبتها منه ، وفي اللحظة نفسها تصارحه (حُسنى) بأنها تتنازل له طواعية عما ورثته لأنه الأحق بهذا فيسعد بهذا الدليل القوي على حبها إياه ، ويرضى بها زوجاً ، وتكتمل سعادته عندما تصارحه الفتاة بأنها اتفقت مع العجوز على هذا (المقلب) لكي تعيد للفتى الطائش عقله ليحافظ على ثروته .

وفي المسرحية شخصيات أخرى هامشية مثل الطبيب عبد السلام مرتضى المعروف بجهله وعلاجه لمرضاه على النواصي والطرقات .

ومن مواقف الفكاة في المسرحية ذلك الحوار الذي يدور بين رشاد (السمسار) وعزيز (وهو أحد أبناء الذوات التافهين) وكانا يجلسان على المقهى وقد جاء جمال فدار بينهما هذا الحوار :

رشاو : هذا جمال وحيد جدّة بخيلة يا عزيز ، جلدّة !!

عزيز : وعمرها يا رشاد ؟

رشاو : يربو على الثمانين

عزيز : تلك مدة !!

وبعد أن يغري رشاد السمسار صديقه عزيزاً ابن الذوات بتزويج اخته من جمال الذي سيرث أموال جدته البخيلة . يستمر الحوار بينهما فيمارس السمسار أسلوب التزيين الزائف والكذب والغش ليصل إلى هدفه ، ومرة أخرى يدور الحوار بينهما بهذا الشكل الذي تبدو فيه براعة الفكاة عند شوقي :

عزيز: لم تقل عن الفتى . ما أبوه ؟

رشاو: كان فخر الرجال ... كان مديرا

[ثم لنفسه]

كان والله يسكع الصبح والليل
ل إلى كل حانة، سَكِّيرا

عزيز: والفتى . كيف شغله ؟

رشاو: في الدواوين

عزيز: إذن قد نراه يوماً وزيراً

رشاو: لم لا ؟

[ثم لنفسه]

إنني قلتها ومن أين أدري ؟
ربما صار حاجباً أو غفيرا

[ثم لعزیز]

لا تسلي من أبوه يا أخي
أو من الأم وسل ما جدته ؟

لا ولا ما شغله ؟ ما جاهه ؟
في الدواوين ولا ما رتبته

فجمال في غد أو بعده
بوزيرين تُساوى ثروته

(بعد لحظة)

ولم لا وجدته نملة
إذا وقفت أو مشت حصلت

وتدخل في بيتها ما تصيب
ولا يخرج الدهر ما أدخلت

لو انقلبت من جميع الجهات
على القش في فمها ما انفلت

ترى المال في بيتها في اللحاف وتحت البلاط وحشو الشَّلَت

وتقدم لنا المسرحية حواراً بين شخصين مجهولين كانا يجلسان على المقهى
فيما كان الطبيب الجاهل عبد السلام مرتضى يجلس بالقرب منهما منغمساً في
قراءة صحيفة وقد أعطاهما ظهره فدار بينهما هذا الحوار الفكه :

الأول : من ذلك المُطِلُّ من لحيته كالبغل من وراء مخلاة رنا

الثاني : تسأل عن ذاك الذي انحنى على صحيفة يقرأ وولانا القفا ؟

الأول : أجل . أجل هذا القفا

الثاني : هذا هو الدكتور

الأول : من ؟

الثاني : عبد السلام مرتضى

يقرأ ما صادف من جريدة من سطرها الأول حتى المنتهى

وتستوي صحف الصباح عنده وصحفُ ظَهْرَن من عام مضى

تذاكر الدفن التى يكتبها في الشهر أضعاف تذاكر الدوا

ويصف أحد الرجلين لصاحبه بخل هذا الطبيب وصفاً دقيقاً فقد كان ضيفه
يوماً ورآه وهو يقسم البيضة بين أربعة ضيوف ويأمر برفع اللحم من على المائدة
بحجة انه غير ناضج ، وهو يطوف بالمقاهى لا يطلب لنفسه غير (شيشة) يظل
يدخنها طوال مدة بقاءه التي قد تستمر الليل كله أو النهار كله . فهو يعالج مرضاه
على المقهى :

الأول : وذلك الدكتور ؟

الثاني : هذا " مادر "

الجوع يا أخي ولا الأكل معه

لقد دعاني للغداء مرة فقسّم البيضة بين أربعة

وجيء بالشواء

الأول : قل ماذا جرى ؟

الثاني : أو ما إلى خادمه أن يرفعه

رأى فيه عيباً وإن لم نجد على اللحم عيباً سوى قلته

فقد كان أنضج لحم رأيت وقد كان كالمسك في نكهته

ومن بخله تفتح القهوةات وتغلق وهو على " شيشته "

يقضي - بها طرفي يومه ويمضي - بها طرفي ليلته

الأول : ومرضاه ؟

الثاني : يلقاها في الطريد ق حيناً ، وحيناً على قهوته

ومن مواقف الفكاهة الطريفة في هذه المسرحية ذلك الموقف الذي تأمر فيه

البخيلة خادمتها (حُسنى) بأن تطبخ لها طبيخاً فإذا بها تطبخ لها (البامية)

لأنها جديدة في السوق ، وبعد أن تزار المرأة العجوز وتتحسر لأن ثمنها - ما دامت

جديدة - لا بد أن يكون غالياً ، تقنعها الخادمة بأنها بامية مهداة لها من أحد

أقاربها فتسر العجوز وحينئذ يظهر (جمال) حفيد البخيلة فيدور بين السيدة
 نظيفة) وخادمتها هذا الحوار:

نظيفة: عندي " جمال " يتغدى معي هاتي حديث " الباميا " هاتي
 حسنى: سوف ترى يا سيدي صنعتي وسوف تنسى " كفتة الحاتي "

نظيفة: حُسنى بذلت كثيراً وما رفقت بالي

أكفتة بيمين وباميا بشمال؟

حُسنى:

سيدتي لا تغضبي لا لحم في ال مطبخ لا كفتة لا كبابا

العظم لا غير ملأت " الباميا " منه... فطابت نكهة وطابا

نظيفة:

يسلم فوك يا ابنتي

(ثم لجمال) : اسمع لها

" جمال " .. كيف تحسن الجوابا

وبعد موت البخيلة تتحدث الخادمة إلى نفسها عن سيدتها الفقيدة وعن

معاناتها معها فتقول :

سـيـدتي وبـخلهـا _____ في " الخط " سارا كالمثل

وانتقلت وذكـرهـا _____ بالبخل فيه ما انتقل

يرحمهـا الله فمـا _____ أنسى لها تلك الجمـل

في غضب عند الحوا
وما اختلفنا مرة
لكن لأجل الثوم كما
ولم نكن من الدقيـ
يرحمه الله وإن
عاشت بثوب واحد
رواضطراب و " زعل "
في حَمَل ولا جمل
ن الخلف ، أو حول البصل
ق ننتهي ولا العسل
لم تأت يوماً بحسن
كالميت عاش بكفن

الفكاهة في مسرحية " الست هدى " :

تدور أحداث هذه المسرحية في بيت يقع في حي الحقيقي في منطقة السيدة زينب بمدينة القاهرة وزمنها عام ١٨٩٠م . وقد اختار شوقي الزمان والمكان بعناية ليقدم لنا من خلالهما فكرت هالتي تتلخص في وصف حياة نساء ذلك العصر وكيف كان الرجل اللعبة المفضلة لديهن فبطلة المسرحية هي الست هدى وهي امرأة مزواج لديها ثروة ضخمة من الأطيان الزراعية والأموال وليس لها حظ من الجمال أو الجاه ولكنها تستمد قوتها من ثروتها فهبي تتزوج وتطلق حتى تنتهي المسرحية بموتها بعد أن وقفت كل أموالها لجارتها أو بنات جارتها وبنات زوجها الأول ، وهكذا يصطدم آخر أزواجها واسمه السيد العجيزي وكان قد منى نفسه بأن يرثها وبدأ يتصرف مع أصدقائه النادمين . والمسرحية من أولها لآخرها مسرحية فكاهية ، فمن الصعب أن نرصد ظواهر معينة للفكاهة في تضاعيفها ، ولكننا سنختار لقطات فيها روح شوقي الشاعر الفكاهة .

ففي بداية المسرحية تتحدث الست هدى لإحدى جاراتها عن سراهتمام

جاراتها وجيرانها بأمور زواجها فتقول :

يقولون في أمري الكثير وشغلهم حديثُ زوجي او حديث طلاقي

يقولون إنني قد تزوجت تسعة وإني واريئُ التراب رفاقي

وما أنا " عزريل " وليس بما لهم تزوجت ، لكن كان ذاك بمالي

وتلك فداديني الثلاثون كلما تولى رجال جئني برجال

وتستعرض الست هدى أزواجها واحداً واحداً فلا تثني خيراً إلا على زوجها

الأول - الذي ستوصي قبل وفاتها ببعض مالها لابنته - أما بقية أزواجها فكلهم

تزوجوها طمعاً في مالها . فهي تقول عن (علي) زوجها الثاني :

وزوجي الثاني " علي " لم يكن يصلح لي

يا ليتني لم أقبل

ذاك ، لمالي اختارني واخترته لاله

ما كان إلا مفلساً وقع في حباله

يرحمه الله ، وكان ذا بخر وكان إن يقعد وإن يقم نخر

وإن مشى تخرج أصوات أخر

يرحمه الله لقد عشنا معاً من السنين الصاخبات أربعاً

ثم مضى لربه لا رجعا

جنّ بالنسل جنونا

خلف لي إلا ديونا

لا نافعاً كان ولا شافعاً

ولقبوه الكاتب البارعاً

ما اخترت إلا عاطلاً ضائعاً

رحمة الله عليه

ثم لم مات ، ما

وتقول عن زوجها الرابع وكان أديباً :

ولست أنسى زوجي الرابعاً

قالوا : أديب لم يروا مثاله

قد زينوه لي ، فاخترته

ثم تزوجت الست هدى بنقيب (يوزباشي) اسمه " قمر " ولم يكن حظها معه بأسعد من حظها مع سابقه فهي تذكره بكل شر وتدعو عليه بألا يرتقي إلى رتبة رائد (صاغ) فتقول عنه :

لا عفا الله عنه ، لا غفر الـ له له ، لا ارتقى ارتية " صاغ "

لا عفا الله عنه ، قد كان لصاً ، لم يردني لكن أراد " مصاغي "

وتحكي هدى لصديقتها عن سبب كراهيتها للنقيب " قمر " ، فقد أحبته من جانبها حباً حقيقياً ، ولكنه كما سكيراً مقامراً فلم يكن يهمله منها إلا أن يأخذ من مالها ليشبع ثرواته :

وفاكهي وريحاني وراحي

ويجلم بالقلادة والوشاح

يجيء البيت في ضوء الصباح

يقامر بالنجوم وبالسلاح

لحاه الله كان منى فؤادي

وكنت أحبه ويحب طيني

وكان مقامراً شريب خمر

يكاد إذا تورط في قمار

ثم تحكي الست هدى عن زوجها بأحد الموظفين وتصفه بأنه كان " نظيف الجيب " كناية عن فقره :

وعشت عامين دون زوج
لم أنسه منذ مات يوماً
كان خفيفاً وكان حلواً
ما كنت أدري إذا تولى

ثم تزوجت بالموظف
ما كان أبهى ! ما كان أظرف !
ومن نسيم الربيع ألطف !
أجيبه أم قفاه أنظف ؟؟

وقد كان إلى جانب فقره مغروراً يحلم بأن يكون يوماً وزيراً كبيراً :

رحمة الله عليه
كل يوم يدع البيه
ثم لا يرجع لي إلا

كان "جخاخاً" كبيراً
ست رئيساً أو وزيراً
كما كان صغيراً

[جَخَاخًا = كذاباً فُشَّارًا]

وتنتقل الست هدى إلى زوجها الآخر (الشيخ عبد الصمد) ثم إلى زوجها من بعده وكان مقاولاً اسمه " مهدي " ... إلى أن تصل إلى زوجها الحالي وهو " عبد المنعم المحامي " وهو رجل سكير لا يكاد يفيق .

وفي نهاية حديثها عن كل زوج تختم قصتها عن كل منهم بهذين البيتين

عشت مع الشيخ نصف عام
ومات واختارني سواه

وكان عمري عشرين عاماً
من ذا يرى فعلتي حراماً؟

أو بمثل هذين البيتين :

عشنا ثلاثاً ثم افترقنا وكان عمري عشرين عاماً
طلقني فالتمسست زوجاً من ذا يرى فعلتي حراماً؟

وهكذا كانت في كل مرة من مرات فراقها لأحد الأزواج بالموت أو الطلاق

بنت عشرين عاماً لا تزيد . وترد عليها جارتها زينب في نهاية كل قصة :

أجل تعيشين وتدفيننا حتى تصيي منهم البنينا